الفصل السابع

المرأة في المعترك

في العالم اليوم حركة نسائية مرموقة ، جريئة وسافرة في بعض البلدان ، ومتحفزة او مكبوتة في البعض الآخر، ولكنها حركة مباركة على كل حال .

لقد شعرت المرأة بالغبن اللاحق بها في المجتمع ، فوعت لنفسها واعتزمت النضال في سبيل الحصول على حقها . واذ رأت من الرجل تنكراً لطموحها ، استعانت بايمانها وصبرها وعنادها ، والايمان والصبر والعناد من المزايا التي تتجلى في طبيعة المرأة وفي نفسيتها .

لقد ادركت المرأة ان السبب في امتهان حقها من طرف الرجل هو سمة الضعة الكامنة فيها ، وادركت ايضاً ان سمة الضعة هذه منشأها ضغط الرجل عليها والجاؤها الى الحياة التواكلية . فهي اذاً مكتسبة اكتساباً ،

وليس للطبيعة الانسانية يد في خلقها في المرأة .

ويجهد الرجل كل عبقريته في التفتيش عن مستند يأخذه حجّة على كون المرأة اقل منه اهلية لخوض معترك الحياة ، فتصطدم عبقريته بالسنن الطبيعية والحقائق العلمية ، فيخرج من هذا الصدام حائراً خائباً .

يلجأ الى الفيزيولوجيين لينتزع منهم شهادة على ان عقل المرأة أقل من عقله ادراكاً ، لان دماغ المرأة اقل من دماغه وزناً ، فيخيّب هؤلاء امله بقولهم ان وزن الدماغ لا يصحّ اتخاذه مقياساً على القوى الادراكية ، اذ لو كان الامر كذلك لكانت الحيوانات الضخمة اكثر ادراكاً من الانسان .

ثم يجيل نظره صوب علماء النفس ، يستجديهم تأييداً لادعائه بأن المرأة اضعف من ان تقوى على تحمّل مكاره الحياة ومصاعبها ، وانها حبيسة العاطفة الجامحة ، وانها انما خلقت لاداء مهمّة عاطفية فقط ، هي تربية الاولاد والعناية بالزوج وتنسيق امور العائلة ، وان هذه المهمة العاطفية لا تأتلف مع المهمة النضالية العملية لخلق عالمٍ عامل ومجتمع تقدمي فاضل ، فتجيئه فتوى علماء النفس ان عاطفة المرأة انما هي بالذات حافز يدفعها الى العمل لاصلاح المجتمع الذي

تعرف هي مساوئه اكثر مما يعرفها الرجل والذي يهمها اكثر منه تحسين حالته ، لكي يتسنى لأولادها ، الذين لا يجسر الرجل ان يدّعي بانه اكثر منها محبة واهتماماً لهم ، ان تتوفر لهم السبل للعمل والتقدم والنجاح . بل يزيدنا علماء النفس علماً ان المرأة اكثر صبراً على تحمّل المتاعب ، واكثر جلداً على مواجهة الشدائد ، واوسع حيلة على تصريف امور العائلة نقطة الدائرة في المجتمع ، وأشد تشبثاً بالمحافظة على القيم الاخلاقية والانسانية .

وعندما يفشل الرجل في محاولته جذب علماء الطبيعة وعلماء النفس الى جانبه ، يلجأ الى الدين والتقاليد والتعاليم الفقهية ، ليحتمي بها ويتحصن وراءها دفاعاً عن غروره وعنجهيته واستبسالاً في المحافظة على استعباده للمرأة واستعماره لدنياها . وهنا تغمر الرجل موجة من التدين الزائف ويبدأ بسرد الآيات والاحاديث والفقهيات المؤيدة لحجته ضارباً صفحاً عن الجوهر في الاديان ، هذا الجوهر الذي مسخته الشرائع والتعاليم الموضوعة ممن ادّعوا العصمة والنبوة واحتكروا الحكمة والحق .

لكل عصرٍ من عصور التاريخ ميزة ظاهرة تفرض عليه خصائصها ويتّسمُ بها فيسمّى باسمها . فالرجعية الدينية كان

لها عصرها في القرون الوسطى ، والانبعاث كان له عصره بعد القرن الثالث عشر ، والنهضة الصناعية كان لها عصر مزدهر ، كما كان للتوسع التجاري والاستعمار الاقتصادي والسياسي عصر ايضاً . فاذا اردنا اطلاق صفة خاصة على العصر الذي نعيش فيه فالصواب يقضي بان نسمي العصر الحاضر عصر الثورة الفكرية لا بل عصر الثورة العملية التطبيقية لهذه الثورة الفكرية الواسعة الواعية ، ثورة المظلوم على الظالم ، والمستعبَد على المستعبِد ، ولماذا لا نقول ايضاً ثورة المرأة على الرجل ؟

لقد افادت المرأة في ثورة العصر الفكرية فانفتحت امامها آفاق التحرر ، وقامت جمعياتها تطالب وتلحّ في استعادة حقها المهضوم . فمن البلدان ما اقر لها بالحق ، ومنها ما زال يحاول التعنت ، ذلك لان الثورة الفكرية نفسها لا تثمر كثيراً الا في البلدان التي فعل فيها التطور الاجتماعي والسياسي فعله الكامل المنشود . ولذلك كان على النهضة النسائية العربية ان تواجه عقبات منشأها ان سنّة التطور في الشرق وئيدة جداً في مسيرها الى الامام .

قلنا في مستهلّ هذا الفصل ان في العالم حركة نسائية مباركة ، وقلنا ايضاً ان هذه الحركة بريعة الخطى في قسم

من العالم، وبطيئة في قسم ثانٍ ، ومكبوتة في قسم ثالث . فلننظر الى الاقسام الثلاثة على ضوء الواقع لنتبين عوامل السرعة والبطء والكبت فيها لعلّ ان يكون للمرأة من وراء ذلك نقطة انطلاق لاتجاه يوصلها الى غرضها عن اقرب الطرق ، وان لم تكن اقربها اسهلها .

من المقرر علمياً ان لا جمود في الحياة ، وان هذه في تطور مستمرّ ، وان هذا التطور تتخلله ازمات فجائية وقفزات يحدث في فترتها من التحوّل ما لا يحدثه التطور البطيء في فترات

ومن المقرر علمياً ايضاً ان سنّة التطور لا يقتصر ناموسها على الناحية الطبيعية فقط انما يشمل الناحية الاجتماعية ايضاً . فكما ان تطور الحياة الطبيعية يتخلله ازمات فجائية وقفزات تستعجله في اثنائها ، هكذا هي الحال في التطور الاجتماعي الذي تستعجله مراحل الانقلابات الثورية في انظمة الحكم والاقتصاد والمعيشة ، وهذه تشمل فيما تشمل قضية المرأة .

ولقد اعطت الانقلابات التي حدثت بعد الحربين العالميتين الاخيرتين صورة واضحة عن تأثير الازمات الفجائية في الحركة النسائية ، اذ خرجت هذه الحركة من مرحلة المطالبة

والنضال الصامت الى المرحلة العملية الناجعة ، ولم تعد مقتصرة على عقد الاجتماعات والقاء البيانات وارسال النداءات ، فأدركت المرأة ان لا سبيل الى نيل حقوقها عن طريق العطاء بل عن طريق الاخذ . وعندما نزلت المرأة الى ميدان العمل في المصنع وفي الحقل وفي المكاتب وفي دواوين الحكومات وفي ساحات المعارك الحربية ، تبين للرجل ان سيادته التقليدية اصبحت في طريق الزوال .

لم تكن هذه الانقلابات سياسية وحسب ، بل كانت ثورات جامعة شاملة قلبت وجه المجتمع . وان هي اتخذت في قسم من العالم شكلاً فجائياً وثورياً ، كما حدث في روسيا وكما يحدث الآن في الصين وفي بعض اقطار اوروبا وآسيا ، ففي البلدان الاخرى الخارجة من الحرب كانت هذه الانقلابات على قسط كبير او صغير من التؤدة والحذر ، تسير سيراً مطّرداً تبعاً لاستعداد الشعوب ودرجة تطورها الاجتماعي والاخلاقي والثقافي . وقد كان لقضية المرأة في كل منها سهم وافر وملموس . وكان من جراء هذه الانقلابات ان اصبحت حجة الرجل عن ضعف المرأة ونقصها وعدم اهليتها لتولي الشؤون التي يتولاها هو اسطورة لا يتمسك بها الا الذين ضُربت على أبصارهم وبصائرهم غشاوة

من الجهل اعمتهم عن الحقيقة ليبقوا غارقين في عالم الاوهام والاساطير .

لقد ادرك العالم الجديد ان السعة والعمران لا يتوفران له الا اذا توفرت وسائل الانتاج واساليبه وتعميم نواحيه العلمية والفكرية والاقتصادية ، وادرك ايضاً ان هذا الانتاج المنشود متوقف على جهود الجهاز البشري كله ، فأقلع عن تقسيم هذا الجهاز الى قسم يعمل وقسم لا يعمل ، او عن قسم موهوب وقسم غير موهوب ، واظهرت المرأة انها في ميادين العمل ليست اقل كفاءة من الرجل حتى اضطرت الانظمة الجديدة تحت تأثير الواقع الملموس ان تعترف لها بالمساواة التامة المطلقة ان كان من جهة الحقوق التي لها او من جهة الواجبات المفروضة عليها . ومن يزور العالم السوفياتي والولايات المتحدة يدرك خرافة القول بان تدخل المرأة في الشؤون العامة يعيقها عن القيام بمهمتها العائلية ، فكما ان الاعمال العامة لا تعيق التاجر عن تجارته ولا الطبيب او المهندس عن مهنته كذلك بوسع المرأة ان تكون لعائلتها وللمجتمع في آن واحد ، لا سيما متى ادركت الانظمة نفسها انها هي ايضاً مسؤولة عن العائلة والمدرسة والصحة كما هي مسؤولة عن القضاء والادارة والسياسة

والامن وهلمجرا .

ان العالم الجديد لفي ثورة تقدمية جامعة ، والمجال منفسح لاشتراك المرأة في غمارها ، وقد اختارت المرأة الاميركية والاوروبية جبهة الجهاد والعمل ، فاذا بقيت المرأة العربية على هامشها ، قانعة بما تعطى دون ان تناضل لتأخذ او تقتنص ، فلا تعجب ان هي بقيت في مؤخرة القافلة .

obeikandl.com

ملحق

(الخطاب الذي القاه المؤلف بدعوة من الاتحاد النسائي العربي اللبناني في المأدبة التي اقامها في مربع الليدو احتفالاً بيوبيله الفضي سنة ١٩٤٧) .

شاء الاتحاد النسائي ان يقيم هذه المأدبة الشائقة احتفالاً بيوبيله الفضي ، وانه لشرف عظيم يوليه فخامة رئيس الجمهورية لهذا الاتحاد بتشريفه هذه الحفلة ، دليلاً على عطفه عليه وعلى النهضة النسائية التي يرمز اليها الاتحاد .

واني لفخور بان يعدّني الاتحاد من اصدقائه ، فيدعوني الى مؤاكلته طعاماً لذيذاً لا يتقاضى عليه ثمناً الا كلمة اقولها في هذه المناسبة السعيدة .

ان الاتحاد النسائي ، ايها السادة ، مذكّر لفظي لمجموعة من المؤنثات ، اعتزمت فيما اعتزمته ان تتحدى التذكير والتأنيث ، فتتخذ من صفات الرجولة ما يؤهلها للعمل ، دون ان تنحني امام مشقاته ، وتتخذ من صفات الانوثة

وضروب الاغراء ما يساعدها على التوصل الى الغاية المثلى التي تهدف اليها .

ويخيل الي ان هذه المجموعة الطيبة من المؤنثات تتجلبب اليوم بجلباب الغواية الرفيعة القدر والتهذيب ، اغراء لاولئك الذين غشت على عيونهم غمامة دكناء حجبت انظارهم عن محاسنها وفضائلها ، فتنكّروا لها ، او هم يحاولون التنكر ، ظانين ان اغفالهم لقيمها يفسح لهم مجال الاستئثار ، فيجولون ويصولون ، ويحكمون ويقاضون ، تبعاً لما قضت به اسطورة الزمان من ان المرأة ألهية للرجل لانها خلقت من اجله ، وان هي الا ضلع من اضلاعه ، لا تحيي ولا تميت ، انما هي تكملة تجميلية في الهيكل الانساني .

والغريب العجيب ان هذه الاسطورة الخرافية ، واظنها هندية الاصل ، رسخت في دخيلة الحياة الانسانية على ممرّ الاجيال والازمان محاطة بهالة من التقديس عن طريق الاوهام والالهام والاديان ، لتقف حداً في وجه التطور الانساني ، بحرمانه من الافادة من هذا الجزء الغالي من الفصيلة البشرية الذي نسميه المرأة . واذا كانت الاساطير لا تزال متحكمة بالعقلية البشرية لا سيما في الشرق ، فالعلم وحده كفيل بالقضاء عليها ، والعالم الجديد مليء بالبوادر التقدمية ،

وما الحركة النسائية القائمة اليوم ، والتي تتمثل عندنا في هذا الاتحاد العزيز ، الا احدى هذه البوادر الطيبة .

لقد عرفت الاتحاد النسائي ايها السادة في جبهة العمل ، وشاهدته بأم عيني في صميم المعركة التحررية ، فما رأيته يلين امام الشدة ، وهذه حوادث تشرين الخالدة ماثلة امام كل ذي عينين ، ورأيت الاتحاد النسائي يرفع الصوت عالياً في الدفاع عن مصالح البلاد ، يناضل لرفع شأن المجتمع ، برعايته للطفل ، وعنايته بالامومة ، ومحاربته البغاء والميسر ، وسعيه المستمر للنهوض بعالم المرأة ، وجعل العائلة اللبنانية عضواً فعالاً في الهيئة الاجتماعية ، ورأيت الاتحاد يجدّ بمقدوره في مكافحة الغلاء ، واصلاح الاحداث ، وتعليم الناشئة تعليماً وطنياً تقدمياً ، ثم رأيت الاتحاد يدخل عضواً في الاتحاد الدولي ، فيعرّفه الى حقيقة المرأة اللبنانية والمرأة العربية عامة ، ليزيل من اذهانه تلك الصورة القاتمة التي كان يصوره بها الاستعمار . وبعد كل ذلك ايها السادة ، لنسائل انفسنا ، حكومة وشعباً ، اذا كانت نظرتنا الى الاتحاد كما كان يجب ان تكون .

ان الاتحاد النسائي ليس جمعية نسائية وحسب ، ولا هو مجموعة من الجمعيات الخيرية او التعليمية فقط ، انما هو حركة

وطنية تقدمية يجدر بنا ان نحسب لها الحساب الذي تستحقه عن كفاءة واهلية في بناء هذا الوطن العزيز .

ولا اكتمكم ايها السادة اني طالما سمعت الاتحاد يشكو من تغاضي السلطات عن شؤونه ، تغاضياً نؤمل ان لا يستمر في عهد الحكومة الحاضرة ، وهي نخبة من الشباب ، عهدي بكل فرد من افرادها ، كعهدي بالشباب على الاطلاق ، ولوع بالمرأة ، مقدر لقيمها المادية والروحية . فاذا كان لنا من امنية ننشدها من حكومة الشباب ، فهي ان لا يقف تقديرها عند حد الولع والهيام والوعود ، بل يتعداه الى مرحلة اكثر ايجابية من ذلك ، مرحلة العمل على معاونتها وانصافها ، كي لا تشعر المرأة بمغدورية ، قد تدفعها في يوم من الايام — من يعلم ؟ — الى انصاف نفسها بنفسها .

على ان لي ملاحظة لتسمح لي سيداتي بابدائها ما دمن يعتبرنني صديقاً لهنّ . لقد لمحت دبيب علة تحاول الانسلال الى صفوف المرأة ، بعد ان اطمأنت الى استقرارها في صفوف الرجل ، علة من الخطأ تجاهلها اذ ان تجاهل الشيء لا يمنع وقوعه ، علة اكثر ما يخشى منها على لبنان وعلى كيانه الغالي ، هي علة الطائفية التي بذر جرثومتها في ارضنا الاستعمار ، والتي يتسلى اطباؤنا في معالجتها

بالعقاقير والمخدرات ، حرصاً منهم على مس قدسيتها ، وتخوفاً من مدعي روحانيتها ، علة خبيثة لا يزيلها الا مبضع جرّاح يقسو ولا يرحم . فاذا كان للرجل مطامع تعميه عن اخطارها ، فلتحذر سيدتي من ان تلهيها عنها مطامع اصحاب الطمع والغايات . ومن الآن الى ان يأتي دور الجراحة ومشرطها ، وهو لا شك آتٍ مهما تباطأ المداوون ، فاني اطلب اليك ان تتقي انسلال العلة الى صفوفك ، لكي تتمكني عندما يحين الحين من تضميد جراحات تستوجب عنايتك ، ولا يخفف من وطأتها غير مرحمةٍ خصتك بها الطبيعة دون غيرك من السلالة البشرية . هي ملاحظة بريئة مخلصة ، اذا اكتفيت عنها الآن بالتلميح ، فلأن لي من فطنتك وذكائك ما يغنيني عن التصريح ، وقديماً قيل : ان اللبيب من الاشارة يفهم .

لقد رأيتك يا سيدتي في ايام المحنة ، فما عرفتك الى اية طائفة تنتسبين ، ولا في أي معبد تصلّين ، فاني استحلفك الآن ان تحتفظي بتلك الروح السامية التي غمرتك في ذلك الحين فرفعتك الى صفوف المجاهدين الابطال الخالدين .

ايها السادة ، انا لا اقصد ان القي عليكم خطاباً الآن بعد ان تلذذتم بهذه المآكل الشهية واخترتم بهذه الخمور

المعتّقة الزكية ، خوفاً على معدكم من ان تصاب بسوء الهضم . ولكنها كلمة قصدت منها تحية هذا الاتحاد العزيز ، رمز النهضة النسائية التقدمية في هذا البلد ، كما قصدت منها لفت نظر الحكام لكي ينظروا الى هذه النهضة المباركة نظرة الجد لا نظرة المرح والاكتفاء بالتأييد المعنوي الذي لا يسمن ولا يغني من جوع .

وعلى هذا ارفع كأسي شارباً نخب فخامة الرئيس الجليل الذي يعطي بتشريفه هذه الحفلة الدليل على تقديره للنهضة النسائية المباركة ، كما ارفعها على شرف الاتحاد النسائي وشرف المرأة اللبنانية والعربية ، كما اني اشرك بالنخب كل من قدر قدر المرأة وكان لها صديقاً صدوقاً ونصيراً مخلصاً ، والسلام عليها وعليكم وعلينا اجمعين .

محتويات الكتاب

تصدير الكتاب ..... للشيخ سعيد تقي الدين

مقدمة الكتاب ..... للدكتور سبريدون ابو الروس

صفحة

توطئة ١٧

الفصل الأول

الاسطورة التكوينية ٢٣

الفصل الثاني

ماذا للفتاة أن تعرف ٣١

الفصل الثالث

الجهاز التناسلي في المرأة ٤٢

ما هي الاعضاء التي يتألف منها الجهاز الجنسي في المرأة ؟
المبيض – الرحم – قناتا فيلوب – المهبل – الثديان .

obeikandi.com

الفصل الرابع

الزواج ٥٤

غبن الفتاة – الزواج الباكر – التناسب بين عمري الزوجين – كل ابنة مصيرها للزواج – الواجبات المتبادلة بين الزوجين وفلسفة الزواج – زواج الحب ، زواج المصلحة ، زواج العاقلة – الزوجة الجديدة – الزواج والقرابة – الزواج عهد وعقد .

الفصل الخامس

الامومة ٩٩

الحبل – العناية بالحامل – طعام الحامل – الامراض التي قد تصيب الحامل – الوحم – البول الزلالي – تأثير الحبل على الاسنان – الحبل والبشرة – الولادة – هل يعطى طعام للماخضة اثناء الولادة ؟ – متى تصير الولادة عسرة ؟ – بعد الولادة – النفاس – حمى النفاس – الرضاعة – الرضاعة الاصطناعية .

الفصل السادس

المرأة في الخمسين ١٤٩

هل يعالج الاطباء المينوبوز ؟ نعم . ولا .

الفصل السابع

المرأة في المعترك ١٥٨

ملحق : خطاب المؤلف

في البرلمان المصري للاتحاد النسائي العربي اللبناني ١٦٧

obeikandl.com